العراقية
المجلات الاكاديمية العلمية
IRAQI Academic Scientific Journals
Al-Itqan Journal of Humanities
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/575
ISSN: 3105-1073 (OnIne)
المجلة معتمدة بالترقيات العلمية حسب كتاب وزارة التعليم العراقية (46404-1410) في 2026/4/27

الخطاب الصحفي وقضايا التغيير الاجتماعي والتعليمي في العراق (١٩٢١ - ١٩٥٨)

م.د أياد ناجي علي
المديرية العامة للتربية في صلاح الدين/ شعبة البحوث والدراسات التربوية /قسم تربية الأسحاقي

Press speech and issues of social and educational change in Iraq(١٩٢١-١٩٥٨)

aboabood585@gmail.com

المستخلص

يتناول هذا البحث دور الخطاب الصحفي في إحداث التغيير الاجتماعي والتعليمي في العراق للمدة (١٩٢١–١٩٥٨م)، منطلقاً من إشكالية تأثير الكلمة المكتوبة في تفكيك البنى التقليدية وتأسيس وعي مدني حديث. واعتمدت الدراسة المنهج التاريخي التحليلي لاستقراء السجال الفكري بين التيارين المجدد والمحافظ، مسلطةً الضوء على تصدي الصحافة للتفاوت الطبقي، ومحاربة الخرافات، والدفاع الجريء عن حقوق المرأة. كما عالج البحث الأثر الفاعل للصحف في تطوير التعليم عبر محاربة الأمية، ونقد المناهج، والضغط لتأسيس جامعة وطنية، ليخلص إلى أن الصحافة العراقية لم تكن مجرد ناقل للأخبار، بل شكلت مؤسسة توعوية ضاغطة أجبرت الحكومات المتعاقبة على تبني سياسات إصلاحية أسهمت في بناء الدولة الحديثة.**الكلمات المفتاحية:** الخطاب الصحفي، الصحافة العراقية، التغيير الاجتماعي، التطور التعليمي، العهد الملكي

Abstract

This research examines the role of journalistic discourse in driving social and educational change in Iraq (١٩٢١-١٩٥٨), addressing how print media deconstructed traditional frameworks to foster modern civic awareness. Employing a historical-analytical approach, the study investigates the ideological debates between reformist and conservative factions, highlighting the press's confrontation of class disparity, superstitions, and its bold advocacy for women's rights. Furthermore, it explores the media's impact on educational progress through combating illiteracy, criticizing curricula, and lobbying for a national university. The study concludes that the Iraqi press functioned as an influential educational institution, compelling successive governments to adopt socio-educational reform policies that built the modern state.**Keywords :**Journalistic discourse, Iraqi press, Social change, Educational development, Monarchical era.

المقدمة

تعد مرحلة تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١م بداية حقيقية لمرحلة جديدة ومهمة في تاريخ العراق الحديث، حيث بدأ المجتمع العراقي يخرج تدريجياً من العزلة التي فرضت عليه لقرون طويلة، وبدأت ملامح التغيير تظهر في جوانب الحياة المختلفة. وفي ظل هذه التحولات، برزت الصحافة كأداة جديدة ومؤثرة، ولم تكن حينها مجرد أوراق تُطبع لنقل الأخبار السياسية أو مراسيم الحكومة فقط، بل تحولت تدريجياً إلى مساحة مفتوحة للنقاش حول قضايا الناس اليومية وطريقة حياتهم[١].وهنا يجب أن نلاحظ، من خلال القراءة المتفحصة لتلك الحقبة، أن المجتمع العراقي كان ما يزال متمسكاً بعادات وتقاليد قديمة موروثة، مما جعل مهمة الصحافة في طرح أفكار التغيير، خصوصاً في مجالي المجتمع والتعليم، مهمة صعبة ومحفوفة بالتحديات والمواجهات الفكرية الحادة مع الفئات المحافظة[٢].وقد لخص بعض المؤرخين طبيعة هذا الصراع بوضوح تام؛ إذ نجد من يقول: "إن الصحافة العراقية في العهد الملكي كانت الميدان الأول الذي تبارت فيه أقلام المصلحين لدك حصون الجهل والخرافة"[٣]وهذا النص يؤكد لنا، كباحثين، أن الصحفيين في تلك الفترة كانوا يحملون على عواتقهم رسالة إصلاحية واضحة، وهو الدافع الأساسي الذي قادنا لاختيار هذا الموضوع، لنغوص في عمق الكلمة المكتوبة ونفهم كيف حاولت الصحافة أن تبني وعياً جديداً.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة دراستنا في محاولة الإجابة عن تساؤل مركزي ومهم: هل كانت الصحافة العراقية في الفترة (١٩٢١ – ١٩٥٨) مجرد مرآة تعكس ما يجري في المجتمع من تغيرات اجتماعية وتعليمية، أم أنها كانت أداة فاعلة تقود هذا التغيير وتضغط على السلطة والمجتمع لتحقيقه؟

ويتفرع من هذه المشكلة عدة تساؤلات فرعية، أبرزها:

- كيف تعامل الخطاب الصحفي مع التقاليد الاجتماعية الموروثة؟
- ما هو موقف الصحافة الحقيقي من قضايا المرأة، وتحديداً حقها في التعليم والخروج للعمل؟
- إلى أي مدى ساهمت المطالبات الصحفية في زيادة عدد المدارس وتحديث المناهج الدراسية؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على حقبة زمنية حساسة جداً (العهد الملكي)، وهي فترة البدايات وتأسيس مؤسسات الدولة والمجتمع العراقي الحديث. كما أن أهميته تبرز من محاولته إعطاء مساحة واضحة للتاريخ الاجتماعي والثقافي، مبتعداً قليلاً عن التاريخ السياسي والعسكري الذي أخذ الحصة الأكبر من الدراسات السابقة. نحن هنا نحاول أن نقرأ تاريخ التطور العراقي من خلال عيون الصحفيين والمثقفين الذين كتبوا في تلك الفترة، لنفهم كيف كان يفكر المجتمع وكيف تطور نظامه التعليمي[٤].

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث بشكل مباشر إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- تتبع وتحليل مسار الخطاب الصحفي العراقي وتطوره خلال الفترة الممتدة من ١٩٢١ إلى ١٩٥٨.
- الكشف عن طبيعة الصراع الفكري على صفحات الجرائد بين التيار المحافظ والتيار الداعي للتحديث الاجتماعي.
- بيان الدور الفعلي الذي لعبته الصحافة في دعم حركة التعليم، سواء من خلال محاربة الأمية والمطالبة بفتح المدارس، أو عبر نقد سياسات التعليم ودعم البعثات العلمية إلى الخارج.

فرضيات البحث:

قبل الدخول في تفاصيل فصول البحث، وضعنا فرضية أساسية ننطلق منها لنثبت صحتها في ثنايا العمل، وهي تفترض أن التغيير الاجتماعي والتعليمي في العراق لم يحدث فجأة أو بقرار حكومي فقط، بل إن الصحافة مهدت له الطريق بصعوبة بالغة. ونفترض أيضاً أن الصحف الرائدة في تلك الفترة اضطرت في بداياتها إلى المهادنة واستخدام لغة حذرة لتجنب الاصطدام المباشر مع رجال الدين وزعماء العشائر، لكنها بمرور الوقت أصبحت أكثر جرأة في المطالبة بفتح مدارس البنات، ونبذ الخرافات، وتحسين الواقع الصحي والاجتماعي[٥].

وهذا يعني، من وجهة نظرنا كباحثين، أن الصحافة كانت تتقدم خطوة وتتراجع أخرى، بحسب مساحة الحرية المتاحة وتقبل المجتمع للمفاهيم الجديدة.

حدود البحث:

لكي يكون عملنا دقيقاً ومحصوراً في إطار علمي واضح، التزمنا بالحدود الآتية:

- **الحدود الزمانية (١٩٢١ – ١٩٥٨م):** لم نختر هذه التواريخ اعتباطاً؛ فعام ١٩٢١م يمثل نقطة تحول كبرى بتأسيس الدولة العراقية الحديثة وتتويج الملك فيصل الأول، وما رافق ذلك من تأسيس للمؤسسات الحكومية وظهور صحافة وطنية بمفاهيم جديدة. أما عام ١٩٥٨م، فهو يمثل نهاية العهد الملكي إثر ثورة ١٤ تموز، وما تبعها من تغير جذري في شكل الدولة والمجتمع، مما يجعل هذه المدة وحدة تاريخية متكاملة[٦].
- **الحدود المكانية:** شمل البحث الرقعة الجغرافية للدولة العراقية، غير أن تركيزنا انصب بشكل أساسي على المدن الكبرى (مثل بغداد، والموصل، والبصرة)؛ والسبب في ذلك أن هذه المدن كانت المراكز الأساسية لصدور أهم وأكثر الصحف والمجلات، وفيها تركزت النخب المثقفة التي قادت حركة التغيير والنقاشات الاجتماعية[٧].

منهجية البحث:

تتطلب طبيعة هذا الموضوع الابتعاد عن السرد الإنشائي للأحداث. لذلك، اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي. فنحن لن نكتفي بجمع الأخبار والمقالات القديمة ورصها في الصفحات، بل سنقوم بوصف الواقع الاجتماعي والتعليمي كما نقلته الصحف، ثم نتدخل كباحثين لتحليل تلك النصوص لمعرفة دوافعها، وتفكيك الآراء المتضاربة فيها. هذا المنهج هو الذي يتيح لنا استنتاج الحقائق التاريخية بموضوعية

ودون تحيز، وهو المنهج الذي يقوم على استرداد أحداث الماضي وفهمها وتحليلها في ضوء الزمان والمكان اللذين وقعت فيهما، من أجل الوصول إلى حقائق علمية وموضوعية تسهم في فهم مجريات الأحداث وتفسيرها.[٨]

مصطلحات البحث:

تجنباً لأي التباس، ولضبط مسار البحث، لابد من توضيح المصطلحات الرئيسة التي يتكرر ذكرها بالاستناد إلى رؤية المختصين، وهي:

- **الخطاب الصحفي:** نقصد به، إجرائياً، مجمل الأفكار والمقالات التي نُشرت في الصحف العراقية خلال مدة الدراسة، بهدف إقناع القارئ بقضية معينة. وقد عرفه بعض الأكاديميين بأنه: النص المكتوب الذي يتجاوز نقل الخبر إلى محاولة التأثير في المتلقي وصياغة وعيه[٩].
- **التغيير الاجتماعي والتعليمي:** ونعني به التحول الذي طرأ على بنية المجتمع العراقي وعاداته (كانتقاله من الكتاتيب إلى التعليم النظامي الحديث وتغير النظرة لعمل المرأة). ويرتبط هذا المفهوم في الدراسات الاجتماعية بتغير البنى والعلاقات داخل المجتمع استجابة للمؤثرات الثقافية والاقتصادية الحديثة[١٠].

المبحث الأول: الإطار التاريخي للخطاب الصحفي في العراق (١٩٢١ ـ ١٩٥٨)

المطلب الأول: واقع الصحافة العراقية واتجاهاتها الفكرية

عندما نتحدث عن الصحافة العراقية في بداية العشرينيات، يجب أن ندرك كباحثين أنها ولدت ونمت في بيئة اجتماعية وسياسية بالغة التعقيد. فتأسيس الدولة العراقية وتتويج الملك فيصل الأول عام ١٩٢١م لم يكن مجرد حدث سياسي عابر، بل كان بداية لانفتاح ثقافي تدريجي، ترافق مع رغبة جامحة لدى النخب المثقفة لانتشال المجتمع من حالة الركود التي دامت لقرون. وفي هذه المرحلة، بدأت الصحف بالظهور بشكل لافت، وتحولت صفحاتها من مجرد ناقل للقرارات الحكومية وأخبار الحروب، كما كان الحال في العهد العثماني، إلى ساحة حقيقية للنقاش وتداول الأفكار بين المثقفين العراقيين حول طبيعة الدولة والمجتمع الذي يطمحون لبنائه[١١].ومن خلال قراءتنا وتتبعنا لأوراق تلك الحقبة، يمكننا القول إن الخطاب الصحفي لم يكن يسير في اتجاه واحد أو يحمل لوناً واحداً، بل انقسم بشكل واضح وصريح إلى تيارين فكريين رئيسين، تصارعا طويلاً على صفحات الجرائد، وحاول كل منهما استقطاب الرأي العام لصالحه، وهما: التيار التحديثي (الإصلاحي)، والتيار المحافظ.

أولاً: التيار الصحفي التحديثي (الإصلاحي)

تبنى هذا التيار مجموعة من الصحفيين والكتاب البارزين الذين تأثروا بالثقافة الحديثة، سواء من خلال دراستهم في الخارج أو احتكاكهم بالأفكار الوافدة. وكان هؤلاء يرون أن بناء دولة جديدة ومستقلة يتطلب بالضرورة التخلص من العادات والتقاليد البالية التي تعيق تقدم المجتمع العراقي وتكبله. وقد ركزت الصحف المحسوبة على هذا التيار، والتي انتشرت في بغداد والبصرة، نقدها اللاذع على الجهل والتخلف المتفشي بين عامة الناس، وطالبت بصوت عالٍ بضرورة نشر التعليم الإلزامي، وتأسيس المدارس الحديثة المتطورة بدلاً من الكتاتيب القديمة التي اقتصر دورها على التعليم الديني البسيط. كما فتح هذا التيار الباب واسعاً لمناقشة حقوق المرأة، وخروجها للعمل، ومشاركتها في بناء المجتمع الجديد[١٢]ولو أخذنا جريدة "الاستقلال" كنموذج لهذا الطرح في بدايات تأسيس الدولة، سنجدها تكتب بوضوح وجرأة عن ضرورة النهوض بالمجتمع والتخلي عن الجمود. فقد ورد في إحدى افتتاحياتها نص صريح يقول: إن الأمة التي لا تقرأ هي أمة محكوم عليها بالزوال، ولا يمكن للعراق أن ينهض من كبوته ما لم نفتح أبواب المدارس لأبنائنا وبناتنا على حد سواء، ونترك خلفنا خرافات الماضي[١٣]وفي السياق نفسه، لم تكتفِ هذه الصحف بالتوجيه العام، بل دخلت في تفاصيل الحياة اليومية، مطالبةً بتحسين الأوضاع الصحية، ومكافحة الأوبئة التي كانت تفتك بالناس، معتبرة أن بناء المواطن الصالح صحياً وعلمياً هو الركيزة الأساسية لنهضة العراق[١٤].نلاحظ هنا أن لغة الخطاب كانت مباشرة، وحادة أحياناً، وهذا يعكس رغبة صادقة من هؤلاء الكتاب في إحداث صدمة وعي لدى القارئ العراقي البسيط، لدفعه نحو تقبل التغيير الاجتماعي والتعليمي كضرورة حتمية لا ترفاً فكرياً.

ثانياً: التيار الصحفي المحافظ

على الجانب الآخر، لم يكن المجتمع العراقي، بتركيبته العشائرية والدينية المتجذرة، ليتقبل كل هذه الدعوات التحديثية الجريئة بسهولة. ولذلك، برز تيار صحفي محافظ، مدعوم من بعض رجال الدين والوجاهات الاجتماعية التقليدية، أخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن التراث والعادات القديمة ومواجهة ما أسموه بـ"الانفلات الأخلاقي". ولم يكن هذا التيار يرفض التعليم النظامي أو التطور بحد ذاته، بل كان يخشى من "التغريب" والتقليد الأعمى للغرب الذي بدأ يغزو المجتمع العراقي مع الوجود البريطاني. وكان كتاب هذا التيار يحذرون باستمرار من أن التسرع في تغيير شكل المجتمع (خصوصاً فيما يتعلق بالدعوة لسفور المرأة والاختلاط، أو تغيير المناهج بشكل جذري) سيؤدي إلى انهيار الأخلاق العامة وتفكك الأسرة العراقية وفقدان الهوية الإسلامية والوطنية[١٥].وقد عبرت المجلات والصحف ذات الطابع التراثي والمحافظ عن هذا القلق مراراً وتكراراً، بل واشتبكت

في ردود مباشرة مع كتاب التيار التحديثي. حيث نقرأ في أحد أعداد مجلة "لغة العرب"، التي كانت منبراً رصيناً للمحافظة على التراث واللغة، تحذيراً شديداً من الانسياق وراء المظاهر الغربية، مؤكدة أن: الإصلاح الحقيقي ينبع من الداخل ومن التمسك بالأصول، لا من استيراد عادات أجنبية لا تتناسب مع بيئتنا وشرائعنا [١٦]وقد وجد هذا الخطاب صدى واسعاً لدى شريحة كبيرة من العراقيين الذين كانوا يتوجسون خيفة من كل ما هو جديد وقادم من الغرب.

التفاعل بين التيارين وتأثيره في المجتمع:

من وجهة نظرنا كباحثين، نعتقد أن هذا الانقسام الحاد في الخطاب الصحفي بين التحديث والمحافظة لم يكن سلبياً، بل كان ظاهرة صحية جداً ومحفزاً حقيقياً للتطور. فقد أدى هذا السجال المستمر، الذي اتخذ شكل معارك أدبية وفكرية على صفحات الجرائد، إلى خلق حالة من التفكير والنقاش غير المسبوق داخل المجتمع العراقي. وحتى الأشخاص الأميون الذين لم يكونوا يجيدون القراءة والكتابة، كانوا يتأثرون بهذا الخطاب بشكل غير مباشر؛ لأن الصحف كانت تُقرأ بصوت عالٍ في المقاهي البغدادية والنجفية والموصلية، وتتحول مقالاتها وافتتاحياتها إلى حديث الساعة بين الناس وفي الدواوين والأسواق[١٧]هذا الاحتكاك اليومي بالأفكار، والصراع بين القديم والحديث عبر صفحات الجرائد، جعل الصحافة العراقية، وعلى مدى العقود الثلاثة التي تلت التأسيس وحتى سقوط النظام الملكي عام ١٩٥٨م، الأداة الأقوى في تشكيل الرأي العام. لقد كانت هذه المعارك الصحفية هي المحرك الأساسي الذي كسر حاجز الصمت، ومهد الأرضية النفسية والاجتماعية لقبول القوانين والقرارات الخاصة بالتغيير الاجتماعي وتطوير حركة التعليم لاحقاً، وهو ما سيتضح لنا بشكل مفصل في المباحث القادمة.

المطلب الثاني: التحديات السياسية والرقابة وتأثيرها على حرية الطرح الاجتماعي والتعليمي

لا يمكننا أن نقرأ تاريخ الخطاب الصحفي في العراق قراءة مجردة بمعزل عن الظروف السياسية القاسية التي أحاطت به. فالدولة العراقية الحديثة منذ تأسيسها، وعلى امتداد العهد الملكي، واجهت تقلبات سياسية حادة، تمثلت في النفوذ البريطاني، والصراعات الحزبية، وتوالي الحكومات المتعاقبة. هذه البيئة المضطربة ألقت بظلالها الثقيلة على الصحافة، وجعلتها في مواجهة دائمة مع مقص الرقيب الحكومي الذي لم يكن يتساهل مع أي طرح يُعتقد أنه يهدد استقرار السلطة أو يثير غضب حلفائها من الزعامات العشائرية والدينية[١٨]ومن المفارقات التي واجهت الصحافة في تلك الحقبة، أن المادة (١٢) من القانون الأساسي العراقي (الدستور) الصادر عام ١٩٢٥م، نصت صراحة على أن: (حرية إبداء الرأي ونشره والاجتماع وتأليف الجمعيات والانضمام إليها مكفولة ضمن حدود القانون)، إلا أن السلطة التنفيذية قيدت هذه المادة لاحقاً من خلال إصدار تشريعات صارمة، وقد شرعت الحكومات العراقية المتعاقبة عدة قوانين للمطبوعات، لعل أبرزها قانون المطبوعات لسنة ١٩٣٣م، الذي منح السلطة التنفيذية صلاحيات واسعة جداً لتعطيل الصحف وإلغاء امتيازاتها وسجن الصحفيين لأسباب فضفاضة. ومن خلال دراسة مسار هذه القوانين وتطبيقاتها، نجد كباحثين أنها لم تكن تستهدف المعارضة السياسية المباشرة فحسب، بل امتد تأثيرها بشكل واضح إلى الطرح الاجتماعي والتعليمي. فالحكومة كانت تخشى من أن تؤدي الدعوات الصحفية المتطرفة في نقد التقاليد الموروثة، أو المطالبة بحقوق العمال والفلاحين، أو حتى نقد المناهج التعليمية وتخلف الإدارة، إلى إثارة الرأي العام واستفزاز القوى المحافظة التي كانت تشكل قاعدة دعم أساسية للنظام الملكي في الأرياف والمدن[١٩]أمام هذا التضييق السياسي والرقابة الصارمة، وجد الكثير من الصحفيين المصلحين أنفسهم مضطرين للجوء إلى أساليب ذكية لتمرير أفكارهم. فقد تحولت القضايا الاجتماعية والتعليمية لدى بعض الصحف إلى ملاذ آمن وواجهة لتمرير النقد السياسي المبطن. فعندما كانت الصحيفة تُمنع من نقد سياسة رئيس الوزراء أو التدخل الأجنبي بشكل مباشر، كانت تلجأ إلى كتابة افتتاحيات مطولة عن تفشي الأمية، وسوء الإدارة في المدارس، وتدهور الأوضاع الصحية والخدمية، محملة الإدارة الحكومية ذنب هذا التخلف الواسع[٢٠]ومن الشواهد المهمة على ذلك، ما كتبته جريدة "الأهالي" التي كانت تمثل صوتاً بارزاً للشباب المثقف في حقبة الثلاثينيات، حيث وجهت انتقاداتها للواقع التعليمي كوسيلة لنقد بنية الدولة وطبيعة إدارة مواردها، وذكرت في إحدى افتتاحياتها بجرأة واضحة: "إن استمرار سياسة التجهيل وترك القرى بلا مدارس، ليس إلا محاولة متعمدة لإبقاء الشعب في غياهب الظلام، ليسهل التحكم في مقدراته ونهب ثرواته، فالأمة المتعلمة لا تقبل الضيم"[٢١]وهذا النص يعكس بوضوح شديد تداخل ما هو سياسي بما هو اجتماعي وتعليمي في الخطاب الصحفي العراقي. فالكاتب هنا يتحدث ظاهرياً عن المدارس والتعليم، لكن رسالته الحقيقية التي يوجهها للقارئ هي رسالة سياسية بامتياز ترفض الاستبداد وتطالب بتوزيع عادل للثروة والفرص.ولم تقتصر التحديات التي واجهت الصحف على القوانين الحكومية الصارمة فقط، بل شملت أيضاً الرقابة المجتمعية التي كانت في بعض الأحيان أقسى وأسرع ردعاً من رقابة الدولة نفسها. فالصحفي الذي كان يتجرأ على كتابة مقال يطالب فيه صراحة بسفور المرأة، أو ينتقد سلطة شيخ العشيرة المطلقة على الفلاحين، أو يهاجم ممارسة شعبية تدخل في باب الخرافات، كان يعرض نفسه لخطر الاعتداء الجسدي، أو مقاطعة صحيفته، أو حتى التحريض ضده من قبل بعض المنابر

الدينية. هذا الضغط المزدوج (من السلطة والمجتمع) دفع العديد من الصحف إلى تبني لغة هادئة ومتدرجة في معالجة القضايا الاجتماعية الحساسة، مستخدمة أسلوب التلميح بدل التصريح لتجنب الصدام المباشر الذي قد يؤدي إلى الإغلاق النهائي[٢٢].ونستنتج من ذلك كله، أن الخطاب الصحفي العراقي الموجه نحو قضايا التعليم والتغيير الاجتماعي في تلك الحقبة كان يسير في حقل ألغام حقيقي. ورغم قسوة الرقابة السياسية والمجتمعية، وإغلاق العشرات من الصحف ومصادرة مطابعها، إلا أن الصحفيين تمكنوا ببراعة فائقة من إبقاء جذوة النقاش حول قضايا التطور الاجتماعي وتحديث التعليم مشتعلة، جاعلين من صفحات جرائدهم مدرسة يومية أسهمت، ببطء ولكن بثبات، في بناء وعي وطني جديد مهد الأرضية للتحولات الكبرى التي شهدها المجتمع العراقي في السنوات اللاحقة.

المبحث الثاني: الخطاب الصحفي وقضايا التغيير الاجتماعي

المطلب الأول: موقف الصحافة من العادات والتقاليد (النقاشات حول التفاوت الطبقي، وحقوق العمال والفلاحين، ومحاربة الخرافات)

لدراسة موقف الخطاب الصحفي من العادات والتقاليد، يجب علينا كباحثين أن نستحضر طبيعة المجتمع العراقي في تلك الحقبة. لقد كان مجتمعاً تحكمه أعراف عشائرية صارمة، وتقاليد متوارثة تقاوم بطبيعتها أي محاولة للتغيير، لاعتقادها أن القديم هو الأسلم دائماً. ومع بداية تأسيس الدولة الحديثة عام ١٩٢١م، وجدت الصحافة الوطنية نفسها وجهاً لوجه أمام منظومة اجتماعية بالغة التعقيد، فكان لزاماً عليها أن تخوض غمار تفكيك هذه المنظومة ونقدها تدريجياً لتهيئة الأرضية لبناء مجتمع مدني متطور[٢٣]ومن أبرز القضايا التي تصدرت صفحات الجرائد في هذا السياق، هي قضية التفاوت الطبقي الحاد، وتحديداً العلاقة المختلة بين الفلاح وشيخ العشيرة (الإقطاعي). لم تقرأ الصحافة هذه القضية بوصفها مشكلة اقتصادية بحتة، بل تعاملت معها كأزمة اجتماعية عميقة؛ حيث كان الفلاح يعامل، بموجب التقاليد والأعراف، كجزء من الأرض التي يملكها الشيخ، ومسلوب الإرادة والقرار، وفي هذا الصدد، لا يمكن إغفال ما ذهب إليه عالم الاجتماع علي الوردي في تحليله لطبيعة المجتمع العراقي، حين أشار بوضوح إلى ظاهرة (صراع البداوة والحضارة)، مؤكداً أن المجتمع العراقي خضع لفترة طويلة لسيطرة القيم العشائرية التي انعكست آثارها بشكل مباشر على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، وعرقلت الكثير من مشاريع التحديث، وقد أخذت بعض الصحف ذات التوجه الإصلاحي والديمقراطي، وفي طليعتها جريدة "الأهالي"، على عاتقها كسر هذه التقاليد الإقطاعية، والمطالبة العلنية بحقوق الفلاحين والعمال المسحوقين[٢٤]ونجد هذا الطرح واضحاً وبصيغة لا تقبل التأويل في إحدى مقالات الجريدة التي نصت على: إن تحرير الفلاح من سلطة الإقطاع وسيطرة التقاليد البالية هو الخطوة الأولى لبناء مجتمع حر، فلا يمكننا الحديث عن تقدم اجتماعي وملايين من أبناء الريف يعيشون تحت وطأة الاستعباد الذي تفرضه عليهم أعراف لم ينزل بها من سلطان[٢٥]ونستنتج من هذا النص المباشر، ومن خلال تتبعنا لافتتاحيات مشابهة، أن الصحافة في تلك المرحلة لم تكتفِ بوصف وتشخيص المرض الاجتماعي، بل تحولت إلى أداة تحريض فكري، تدفع الطبقات العمالية والفلاحية للمطالبة بحقوقها الإنسانية. وهذا الطرح بحد ذاته كان يعتبر ثورة حقيقية على تقاليد متجذرة طالما اعتبرت طاعة الشيخ أو مالك الأرض واجباً اجتماعياً مقدساً لا يجوز التمرد عليه تحت أي ظرف.إلى جانب معالجة التفاوت الطبقي، خاضت الصحف العراقية معركة شرسة وموازية ضد الخرافات والعادات الشعبية الضارة، خصوصاً في الجانبين الصحي والاجتماعي. فقد كان المجتمع حينها، وبسبب تدني مستويات التعليم، يميل إلى تصديق المشعوذين وأدعياء الطب الشعبي، ويرفض في كثير من الأحيان مراجعة المستشفيات الحديثة التي بدأ تأسيسها في المدن، معتبراً أن الأمراض هي لعنات لا تُعالج إلا بالتمائم والتعاويذ. وهنا، أخذت الصحافة دور المعلم والموجه والمصلح الاجتماعي[٢٦]وقد شنت صحف بارزة مثل جريدة "العراق" حملات توعوية متتالية لردع هذه الممارسات، ونشرت مقالاً افتتاحياً انتقدت فيه ظاهرة اللجوء للمشعوذين بشدة، قائلة: "لا يمكن للأمة أن تتقدم خطوة واحدة وعقول أبنائها مكبلة بالخرافات والأوهام التي يروج لها الدجالون، إن إيماننا بالعلم الحديث والطب هو السبيل الوحيد لحماية عوائلنا من الانقراض والأوبئة"[٢٧].ومن الملاحظ كباحثين في هذا الشأن، أن أساليب الصحف قد تنوعت بذكاء في محاربة هذه الظواهر؛ فبينما لجأت بعض الصحف إلى نشر المقالات العلمية الرصينة التي تفند الخرافات بالأدلة الطبية والتاريخية، لجأ البعض الآخر، ولا سيما الصحف ذات الطابع الفكاهي والساخر، إلى أسلوب السخرية اللاذعة والكاريكاتير لاستهداف الأشخاص الذين يصدقون الدجالين، وكان الدافع وراء هذا التنوع هو الإيمان بأن السخرية قد تكون أسرع نفاذاً وتأثيراً في تغيير القناعات الشعبية البسيطة من المقالات الجادة المطولة[٢٨]وفي المحصلة، يتضح لنا جلياً أن موقف الصحافة العراقية من العادات والتقاليد المعيقة للتقدم لم يكن موقفاً مساوماً أو متردداً، بل كان هجوماً فكرياً منظماً استهدف تفكيك البنى القديمة. ورغم المقاومة الشديدة التي أبدتها الفئات المحافظة والمستفيدة من بقاء الجهل، إلا أن استمرارية هذا الخطاب الصحفي وتراكمه بمرور السنوات، نجح في إحداث ثغرة حقيقية في جدار التقاليد، وبدأ المجتمع العراقي يتقبل، ولو ببطء، مفاهيم جديدة حول ضرورة العدالة الاجتماعية، وأهمية الاعتماد على العلم الحديث كبديل عن الخرافة والموروث الشعبي العقيم.

المطلب الثاني: قضية المرأة في الميزان الصحفي (صراع الصحف حول حقوق المرأة، خروجها للعمل، وقضية الحجاب والسفور)

لو دققنا النظر في مجمل القضايا الاجتماعية التي طرحت على صفحات الجرائد العراقية إبان العهد الملكي، سنجد كباحثين أن قضية المرأة كانت تمثل خط التماس الأشد سخونة وحساسية. فالمجتمع العراقي آنذاك كان يغلف كل ما يتعلق بالمرأة بإطار من المحرمات والموروثات العشائرية الصارمة، حيث كانت النظرة السائدة تحصر دورها داخل أسوار المنزل فقط، وتعتبر أي محاولة لتغيير هذا الواقع مساساً مباشراً بالشرف والقيم الدينية والاجتماعية. وأمام هذا الجدار الفولاذي من التقاليد، أخذت الصحافة العراقية الحديثة على عاتقها مسؤولية فتح باب النقاش حول حقوق المرأة، لتكون بذلك الساحة الأولى التي شهدت أعنف المعارك الفكرية بين أنصار التجديد وحراس التقاليد[٢٩]وقد تدرج الخطاب الصحفي الإصلاحي في تناول هذه القضية بذكاء وحذر. ففي حقبة العشرينيات، ركزت الصحف على مطلب يبدو معتدلاً ومقبولاً نوعاً ما، وهو المطالبة بحق الفتيات في التعليم الأساسي. وحاول الكتاب المصلحون ربط تعليم المرأة بحاجة الأمة إلى أمهات قادرات على تربية جيل واعٍ، لتخفيف حدة الصدام مع المجتمع. ولم يكتفِ هؤلاء بالمطالبة الخجولة، بل صعدوا من لهجتهم بمرور الوقت، مطالبين بفتح المدارس المتوسطة والإعدادية للبنات، وتأمين حقهن في اختيار العمل المناسب.وفي هذا السياق، نجد جريدة "البلاد" تتبنى موقفاً متقدماً جداً في دفاعها عن حق المرأة في التعليم والعمل، حيث نشرت مقالاً جاء فيه نصاً: كيف نرتجي من أمة أن تنهض وتزاحم الأمم الراقية، ونصفها مشلول معطل عن العمل؟ إن تعليم الفتاة وخروجها لميدان العمل الشريف ليس عيباً نخشاه، بل هو الدعامة التي ستبني اقتصادنا وترفع الجهل عن عوائلنا[٣٠]وهذا الاقتباس يوضح لنا بجلاء أن الخطاب التحديثي لم يكن ينظر إلى قضية المرأة كقضية نسوية معزولة، بل كان يربطها ربطاً عضوياً بنهضة الدولة بأكملها. إلا أن هذا الطرح المتصاعد لم يمر بسلام؛ فقد اصطدم بعقبة أكبر وأكثر تعقيداً، ألا وهي قضية "الحجاب والسفور"، التي تحولت في ثلاثينيات القرن العشرين إلى أزمة رأي عام حقيقية أشعلت صفحات الجرائد.فقد أثارت دعوات بعض الكتاب والشعراء (مثل جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي) عبر مقالاتهم الصحفية المطالبة برفع الحجاب عن وجه المرأة (السفور)، عاصفة من الردود الغاضبة. وقد انقسمت الصحف بوضوح تام؛ فبينما رأت الصحف التقدمية أن الحجاب المفروض على وجه المرأة يعيقها عن ممارسة حياتها الطبيعية والتعليمية، شنت الصحف والمجلات المحافظة هجوماً مضاداً وقاسياً، معتبرة أن هذه الدعوات ليست سوى بداية لانهيار الأخلاق وتقليد أعمى لنساء الغرب[٣١]ومن خلال تتبعنا لهذه السجالات، نلحظ أن التيار المحافظ استخدم لغة تحذيرية شديدة، واستند إلى العاطفة الدينية والغيرة الاجتماعية لحشد الرأي العام ضد دعاة السفور. وقد برزت مجلات متخصصة في الرد على هذه الدعوات، محذرة من مغبة التراخي في هذا الأمر. فقد ورد في إحدى الافتتاحيات المحافظة ما نصه: إن ما ينادي به بعض المتفرنجين باسم تحرير المرأة، هو في حقيقته دعوة لهدم الحصن الأخير الذي يحمي أسرنا، فالمرأة بلا حجابها ستفقد وقارها، وينهار معها أساس التربية الصالحة التي بنيت عليها تقاليدنا[٣٢]ونستنتج من طبيعة هذا الصراع الفكري الحاد، أن الصحافة كانت تعكس حالة مخاض عسير يمر بها المجتمع العراقي. فالقضية لم تكن مجرد قطعة قماش توضع على الوجه أو ترفع عنه، بل كانت صراعاً وجودياً بين هوية تقليدية تخشى الاندثار، وقيم حداثية تحاول إثبات وجودها[٣٣]وفي نهاية المطاف، وعلى الرغم من قسوة الهجمات المتبادلة والرقابة الاجتماعية الصارمة، تمكن الخطاب الصحفي المستمر من كسر هيبة التابو (المحرم) الاجتماعي المتعلق بالمرأة. ومع مرور السنوات، وبفضل هذا الضغط الصحفي المتواصل الذي رافقه توسع في فتح المدارس، بدأ المجتمع العراقي يعتاد تدريجياً على رؤية الفتيات وهن يذهبن إلى المدارس، ومن ثم التحاقهن بدار المعلمين والكليات، بل وخروجهن للعمل في الدوائر الحكومية والمستشفيات في أواخر العهد الملكي، ليتوج هذا المسار الطويل بانتصار نسبي لخطاب التحديث الاجتماعي الذي قادته الكلمة المكتوبة[٣٤].

المبحث الثالث: الخطاب الصحفي وتطور حركة التعليم

المطلب الأول: الصحافة كمنبر لمكافحة الأمية والمطالبة بتوسيع المؤسسات التعليمية في المدن والأرياف

لدى تتبعنا لمسار التطور التاريخي لحركة التعليم في العراق مع انطلاق العهد الملكي عام ١٩٢١م، ندرك تماماً أن تركة العهد العثماني كانت ثقيلة جداً ومحبطة. فقد كانت نسبة الأمية متفشية بشكل مروع بين غالبية فئات الشعب، واقتصرت المؤسسات التعليمية على عدد محدود من المدارس الابتدائية في مراكز المدن الكبرى، إلى جانب الكتاتيب التقليدية التي لم تكن قادرة على تخريج جيل يواكب متطلبات بناء دولة حديثة تعتمد على مؤسسات مدنية. وأمام هذا الواقع المتردي، لم يقف الخطاب الصحفي العراقي موقف المتفرج، بل أخذ زمام المبادرة ليتحول إلى منبر وطني يومي يدق ناقوس الخطر، معتبراً أن محاربة الأمية هي المعركة الحقيقية التي يجب أن تخوضها الدولة لضمان استقلالها الفعلي ونهضتها[٣٥]ومن خلال استقرائنا للافتتاحيات والمقالات التي نُشرت في حقبة العشرينيات والثلاثينيات، نلحظ أن الصحف الإصلاحية تبنت لغة تحذيرية تربط ارتباطاً وثيقاً بين التخلف العلمي من جهة، والانهيار الاقتصادي والاجتماعي من جهة أخرى. وقد تجلى ذلك في الحملات الصحفية

المنظمة التي طالبت الحكومات المتعاقبة بجعل التعليم الابتدائي إلزامياً ومجانياً. وفي هذا الصدد، نشرت جريدة "الزمان" مقالاً افتتاحياً لاذعاً وجهت فيه خطابها للسلطة التشريعية والتنفيذية قائلة: (إن الأموال التي تُنفق على بناء السجون وتجهيز قوات الأمن، كان الأجدر أن تُصرف على تشييد المدارس وطباعة الكتب؛ لأن الشعب المتعلم يبني وطنه ولا يحتاج لمن يحرسه، بينما الجهل هو المصنع الحقيقي للرذيلة والفقر)[٣٦]ونستنتج من هذا النص بوضوح، أن رؤية الصحفيين العراقيين في تلك المرحلة كانت متقدمة وشمولية؛ فهم لم ينظروا إلى التعليم كعملية تلقين أبجدي فقط، بل كأداة وقائية وإستراتيجية للنهوض بالأمة وحمايتها من الداخل. وهذا الضغط الصحفي المستمر، الذي شكل رأياً عاماً مسانداً لحركة التنوير، أسهم بشكل فعال في دفع الحكومات المتعاقبة إلى زيادة المخصصات المالية لوزارة المعارف، وافتتاح العشرات من المدارس الابتدائية والمتوسطة في بغداد والموصل والبصرة، استجابةً للضغط الشعبي الذي ولدته الكلمة المكتوبة[٣٧]غير أن الخطاب الصحفي لم يكتفِ بالمطالبة بزيادة عدد المدارس في المدن الكبرى وحسب، بل انتقل بذكاء ومسؤولية لمعالجة أزمة التفاوت الجغرافي والطبقي في توزيع المؤسسات التعليمية. فقد لاحظت الصحف أن الأرياف والقرى العراقية، التي كانت تضم الأغلبية الساحقة من السكان آنذاك، تعاني من حرمان تعليمي شبه تام. وتصدت بعض المنابر الصحفية الجريئة لهذا الخلل البنيوي، متهمة صراحة بعض المتنفذين من شيوخ الإقطاع بعرقلة فتح المدارس في مناطقهم خوفاً من تنوير الفلاحين وتمردهم على سلطتهم المطلقة. وقد كتبت جريدة "صوت العراق" منتقدة هذه السياسة بشدة، حيث أوردت في أحد أعدادها: لا يجوز أن تحتكر العاصمة نور العلم، بينما تُترك قرانا في ظلام دامس يخدم مصالح ثلة من الإقطاعيين الذين يرتعبون من فكرة فلاح يقرأ ويكتب، إن العدالة تقتضي إرسال المعلمين إلى الريف قبل إرسال جباة الضرائب[٣٨].إننا كباحثين، نرى في هذا الطرح الصحفي شجاعة فائقة وتحدياً مزدوجاً للسلطتين الحكومية والعشائرية في آن واحد. فالصحافة هنا لعبت دور المعارضة الوطنية التي تكشف الخلل في التخطيط الحكومي المركزي، وتفضح في الوقت ذاته النوايا الخفية للقوى التقليدية المانعة للتطور الاجتماعي والتعليمي[٣٩]ونتيجة لهذا السجال والنقد المتواصل الذي قادته الصحافة الوطنية، شهدت حقبة الأربعينيات والخمسينيات تغيراً ملموساً في سياسة وزارة المعارف، تمثل في التوسع النسبي لافتتاح المدارس الريفية، وظهور فكرة "المدارس المتنقلة"، فضلاً عن افتتاح مراكز لمكافحة الأمية للكبار في الأطراف. كل ذلك يؤكد لنا، بما لا يقبل الشك، أن الخطاب الصحفي العراقي لم يكن مجرد صدى للأحداث، بل كان المحرك الأساسي والدينامو الذي دفع عجلة التغيير التعليمي لتشمل شرائح جغرافية وطبقية كانت مهمشة لقرون طويلة[٤٠].

المبحث الثالث: الخطاب الصحفي وتطور حركة التعليم

المطلب الثاني: الخطاب الصحفي وأثره في تحديث المناهج والدعوة لتأسيس التعليم العالي

لعل من أهم القضايا التي تستوقفنا كباحثين عند دراسة علاقة الصحافة بالتعليم، هو إدراك النخب الصحفية المبكر بأن زيادة عدد المدارس وتشييد الأبنية وحده لا يكفي لبناء جيل واعٍ، إذا ظلت المناهج الدراسية حبيسة التلقين والحفظ التقليدي. فقد انتبه الكتاب المصلحون إلى أن المناهج التي ورثها العراق من مدرسة الحقبة العثمانية لم تعد صالحة لبناء دولة مدنية حديثة مستقلة. ولذلك، انتقل الخطاب الصحفي بمرونة ووعي من مرحلة المطالبة بفتح المدارس لمكافحة الأمية، إلى مرحلة أعمق تتمثل في نقد المحتوى العلمي والتربوي، والمطالبة بتحديث المناهج لتشمل العلوم التطبيقية والتاريخ الوطني ومبادئ التنشئة المدنية، ومن الجدير بالذكر في هذا السياق، أن الحكومة العراقية استقدمت في عام ١٩٣٢م لجنة تعليمية أمريكية برئاسة البروفيسور (بول مونرو Paul Monroe)، عُرفت لاحقاً باسم (لجنة مونرو)، لغرض دراسة واقع التعليم في العراق وتقييمه، وتقديم التوصيات اللازمة لتطوير المناهج الدراسية، وتحديث نظام الامتحانات.[٤١]وقد شنت العديد من الصحف حملات نقدية واسعة ضد أساليب التعليم العقيمة التي تعتمد على التلقين الصارم، وتخويف الطلاب، أو إجبارهم على حفظ نصوص لا يفهمون معناها. وطالبت بضرورة استيراد أساليب التربية الحديثة المتبعة في الدول المتقدمة لتنمية قدرات الطالب. وفي هذا السياق، نجد أن مجلة متخصصة ورائدة مثل "المعلم الجديد" التي صدرت في أواخر الثلاثينيات، أخذت على عاتقها نشر الوعي التربوي بين المعلمين أنفسهم، حيث دعت في إحدى افتتاحياتها إلى ثورة حقيقية في طرائق التدريس قائلة: إن غاية المدرسة ليست تخريج آلات حافظة للنصوص، بل بناء عقول قادرة على التفكير والتحليل، ولن يتحقق ذلك ما لم نغير مناهجنا لتواكب روح العصر، ونستبدل عصا المعلم بأسلوب الحوار والإقناع[٤٢]ونستنتج من هذا الطرح أن الصحافة لم تكن تواجه السلطة السياسية فحسب، بل كانت تواجه أيضاً الجمود الفكري داخل المؤسسة التعليمية نفسها. ولم يقف طموح الخطاب الصحفي عند حدود التعليم العام (الابتدائي والثانوي)، بل امتد لتبني قضية وطنية كبرى تمثلت في الدعوة الملحة إلى تأسيس كليات للتعليم العالي داخل العراق، ودعم إرسال البعثات العلمية إلى الخارج. فقد كانت الصحف الاستقلالية ترى أن الاستقلال السياسي الذي تحقق للعراق سيبقى شكلياً ولن يكتمل دون استقلال علمي واقتصادي، وهذا يتطلب حتماً إعداد كوادر وطنية متخصصة في الطب والهندسة والقانون والإدارة لتحل محل الكوادر الأجنبية[٤٣]ومن خلال استقرائنا لمقالات

حقبة الأربعينيات، نجد أن المطالبة بتأسيس "جامعة عراقية" شاملة أخذت حيزاً كبيراً ومؤثراً من صفحات الجرائد اليومية. وقد مارست الصحافة ضغطاً متواصلاً على الحكومات لزيادة مخصصات البعثات العلمية إلى أوروبا وأمريكا، وحثتها على رعاية المبتعثين وتوفير الوظائف لهم ليعودوا قادة للتغيير في مجتمعهم. وقد عبرت جريدة "الأخبار" عن هذا المطلب الوطني بلهجة حاسمة عندما كتبت: "إلى متى يبقى أبناؤنا يتكبدون عناء السفر والغربة بحثاً عن العلم في جامعات الدول المجاورة والغربية؟ إن تأسيس جامعة وطنية تجمع الكليات المتفرقة هو مطلب لا يقبل التأجيل، وهو الضمانة الوحيدة لعدم بقاء العراق عالة على الخبرات الأجنبية"[٤٤]ونلاحظ من خلال تحليلنا لهذا الخطاب الدقيق، أن الصحفيين استخدموا أسلوب المقارنة المنهجية بشكل متكرر؛ حيث كانوا ينشرون تقارير مفصلة عن نهضة التعليم الجامعي في مصر وسوريا والدول الغربية، بهدف إثارة غيرة المسؤولين العراقيين، واستنهاض الهمم، ودفع صناع القرار لاتخاذ خطوات عملية وسريعة لإنقاذ الواقع العلمي[٤٥]وفي ختام دراستنا لهذا المبحث، يمكننا القول بثقة كباحثين إن هذا التراكم في المطالبات الصحفية، وهذا النقد البناء المستمر، لم يذهب سدى. فقد أثمرت هذه الحملات التوعوية والضغوط المتواصلة عن نتائج واقعية ملموسة على الأرض، تجلت في التوسع التدريجي بإنشاء الكليات المتخصصة (كدار المعلمين العالية، وكلية الطب، وكلية الحقوق، وكلية الهندسة)، وزيادة أعداد المبتعثين بشكل ملحوظ خلال حقبة الخمسينيات. وقد توجت هذه الجهود الكبيرة في نهاية المطاف بإعلان تأسيس "جامعة بغداد" عام ١٩٥٧م. وبذلك، تكون الصحافة العراقية قد أدت دورها التاريخي والوطني كقوة ضاغطة وموجهة، أسهمت بفاعلية واضحة في رسم الخريطة التعليمية والأكاديمية، ونقلت المجتمع العراقي نقلة نوعية نحو آفاق التطور والمعرفة[٤٦].

الخاتمة

بعد الانتهاء من مباحث هذه الدراسة وتحليل المصادر والوثائق، توصل البحث إلى جملة من النتائج الشاملة، تليها مجموعة من التوصيات، وكالآتي:

أولاً: النتائج

١- أثبت البحث أن الصحافة العراقية في العهد الملكي لم تكن مجرد ناقل للأحداث السياسية، بل شكلت مؤسسة توعوية قادت حركة التغيير الاجتماعي والتعليمي.

٢- بينت الدراسة أن الانقسام الفكري في الصحف بين التيار المجدد والتيار المحافظ كان ظاهرة إيجابية؛ لأنه خلق حالة من النقاش العام الذي كسر جمود المجتمع وحرك مياهه الراكدة.

٣- كشف البحث عن براعة الصحفيين العراقيين في تجاوز الرقابة الحكومية الصارمة، من خلال استخدام القضايا الاجتماعية والتعليمية كبوابة لانتقاد الخلل في إدارة الدولة وتوجيه الرأي العام.

٤- أظهرت النتائج الدور الحاسم للصحافة في محاربة الخرافات والعادات البالية، والدعوة الصريحة إلى الاعتماد على العلم الحديث والمؤسسات الصحية.

٥- تأكد للبحث أن الخطاب الصحفي كان له الفضل الأكبر في تغيير النظرة المجتمعية تجاه المرأة، من خلال التدرج بذكاء في المطالبة بحقها في التعليم، ثم العمل، وصولاً إلى إثبات وجودها في المجتمع.

٦- خلص البحث إلى أن توسع الحكومات المتعاقبة في بناء المدارس الريفية وتحديث المناهج، والاهتمام بالبعثات العلمية، لم يأتِ عفواً، بل جاء استجابة للضغط المتواصل الذي مارسته الصحف الوطنية والذي توج بتأسيس جامعة بغداد.

٧- أوضحت الدراسة أن تأثير الصحافة لم يقتصر على شريحة المتعلمين فقط، بل امتد إلى الفئات غير المتعلمة والأمية بفضل ظاهرة قراءة الصحف بصوت عالٍ في المقاهي والتجمعات العامة.

ثانياً: التوصيات

١- يوصي البحث الجامعات والمؤسسات الثقافية بالتوجه السريع نحو "رقمنة" الأرشيف الصحفي القديم (تحويله إلى نسخ إلكترونية) لحمايته من التلف وتسهيل وصول طلبة الدراسات العليا إليه.

٢- يقترح البحث توجيه طلبة الدراسات العليا لدراسة لغة الخطاب الصحفي وأساليب الإقناع المستخدمة في تلك الحقبة دراسة لغوية وتحليلية منفصلة.

٣- يدعو البحث إلى إجراء دراسات أكاديمية مقارنة بين الخطاب الصحفي العراقي والخطاب الصحفي في الدول العربية المجاورة خلال المدة ذاتها (١٩٢١ – ١٩٥٨م) لمعرفة حجم التأثير والتأثر المتبادل.

٤- يوصي البحث بضرورة تسليط الضوء على دور الصحف المحلية التي صدرت في المحافظات (كالبصرة والموصل والنجف) وعدم الاقتصار على صحافة العاصمة بغداد، لمعرفة طبيعة التغيير الاجتماعي في أطراف العراق.

٥- يقترح البحث إفراد دراسات خاصة تتناول السير الذاتية والفكرية لرواد الصحافة الإصلاحية في العراق، بوصفهم قادة رأي ومصلحين اجتماعيين وليسوا مجرد كتاب مقالات.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب العربية والمعربة

١. إبراهيم خليل أحمد، الصحافة والمجتمع في العراق، مطبعة جامعة الموصل، (الموصل_ ١٩٨٢م)

٢. جلال الحنفي (ت ٢٠٠٦م)، المقاهي البغدادية ودورها الثقافي والاجتماعي، مطبعة الرشاد، ط١، (بغداد_ ١٩٩٠م).

٣. خليل أحمد خليل ، المرأة العراقية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، (بيروت_ ١٩٨٣م).

٤. سيار الجميل ، الحياة الاجتماعية في العراق، دار الأهلية، ط١، (عمان_ ٢٠٠٠م).

٥. طارق نافع الحمداني ، الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية، دار الشؤون الثقافية، ط١، (بغداد_ ١٩٩٠م).

٦. عبد الإله أحمد ، الصراع الفكري في الأدب العراقي الحديث، دار الحرية للطباعة، ط٢، (بغداد_ ١٩٧٧م).

٧. عبد الأمير هادي العكام ، جماعة الأهالي في العراق (١٩٣٢-١٩٤٦)، مطبعة الإرشاد، ط١، (بغداد_ ١٩٧٩م).

٨. عبد الجليل الطاهر (ت ١٩٧١م)، الريف العراقي وتحديات التحديث، دار النشر والتوزيع، ط١، (بغداد_ ١٩٥٨م).

٩. عبد الرزاق الحسني (ت ١٩٩٧م)، تاريخ الوزارات العراقية، دار الشؤون الثقافية، ط٧، (بغداد_ ١٩٨٨م).

١٠. عبد الرزاق الدليمي ، تاريخ التعليم في العراق في العهد الملكي، مطبعة الإرشاد، ط١، (بغداد_ ١٩٨٥م).

١١. عبد الرضا علي ، تاريخ العراق الثقافي، دار الشروق، ط١، (عمان_ ٢٠٠٨م).

١٢. عبد الغني الدلي (ت ٢٠٠٨م)، تاريخ تطور الصحافة في العراق، مطبعة المعارف، ط١، (بغداد_ ١٩٦٨م).

١٣. علي الوردي (ت ١٩٩٥م)، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، مطبعة الرابطة، (بغداد_ ١٩٦٥م).

١٤. فائق بطي (ت ٢٠١٦م)، حرية الصحافة في العراق (١٩٢١-١٩٥٨)، دار المدى، ط١، (دمشق_ ٢٠١٠م).

١٥. قحطان حميد الكعبي ، التعليم العالي في العراق وتطوره التاريخي، مطبعة جامعة بغداد، ط١، (بغداد_ ١٩٨٠م).

١٦. قيس النوري ، الصحافة الساخرة في العراق، دار الشؤون الثقافية، ط١، (بغداد_ ١٩٨٨م).

١٧. متعب مناف ، البناء الاجتماعي للمجتمع العراقي، دار الشؤون الثقافية، ط١، (بغداد_ ١٩٨٩م).

١٨. محمد جواد رضا ، التطور التربوي في العراق، سلسلة المعارف، ط٢، (بيروت_ ١٩٧٥م).

١٩. محمد عبد الله الدليمي ، تاريخ المناهج الدراسية في العراق (١٩٢١-١٩٥٨)، دار الشؤون الثقافية، ط١، (بغداد_ ١٩٩٢م).

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية

٢٠. سعاد محمد خليل ، أثر البعثات العلمية في التطور الاجتماعي والتعليمي في العراق، رسالة ماجستير، كلية التربية – الجامعة المستنصرية، (بغداد_ ٢٠٠١م).

٢١. سهام الشجيري ، قضايا المرأة في الصحافة العراقية (١٩٢١-١٩٥٨)، كلية الإعلام – جامعة بغداد، (بغداد_ ٢٠٠٥م).

٢٢. علي خليل شبر ، دور الصحافة العراقية في التوعية التربوية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة بغداد، (بغداد_ ١٩٩٨م).

ثالثاً: الصحف والمجلات الدورية

٢٣. جريدة الأخبار، (بغداد).

٢٤. جريدة الاستقلال، (بغداد).

٢٥. جريدة الأهالي، (بغداد).

٢٦. جريدة البلاد، (بغداد).

٢٧. جريدة الزمان، (بغداد).

٢٨. جريدة العراق، (بغداد).

٢٩. جريدة صوت العراق، (بغداد).
٣٠. مجلة الاعتصام، (بغداد).
٣١. مجلة المعلم الجديد، وزارة المعارف العراقية، (بغداد).
٣٢. مجلة لغة العرب، الأب أنستاس ماري الكرملي، (بغداد).

هوامش البحث

(١) تاريخ الصحافة العراقية، عبد الرزاق الحسني (ت ١٩٩٧م)، مطبعة الرابطة، ط١، (بغداد_ ١٩٥٧م)، ج١، ص ١٥.
(٢) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، علي الوردي (ت ١٩٩٥م)، مطبعة العاني، ط١، (بغداد_ ١٩٦٥م)، ج١، ص ٤٥.
(٣) الحركة الفكرية في العراق الحديث، سعيد ديوه جي (ت ٢٠٠٠م)، معهد الدراسات العربية، ط١، (القاهرة_ ١٩٧٣م)، ج١، ص ٥٠.
(٤) الصحافة والمجتمع في العراق، إبراهيم خليل أحمد (ت المعاصر)، دار الشؤون الثقافية، ط١، (بغداد_ ١٩٨٩م)، ج١، ص ٢٢.
(٥) التطور الاجتماعي في العراق (١٩٢١-١٩٣٢)، فضل زكي محمد (ت المعاصر)، كلية الآداب – جامعة بغداد، ط١، (بغداد_ ١٩٧٩م)، ج١، ص ٤٠.
(٦) تاريخ العراق المعاصر، جعفر عباس حميدي (ت ٢٠٢٠م)، دار الكتب والوثائق، ط٢، (بغداد_ ١٩٩٩م)، ج١، ص ١١٢.
(٧) تاريخ الصحافة العراقية، عبد الرزاق الحسني، ج١، ص ٣٠.
(٨) منهج البحث التاريخي، حسن عثمان (ت ١٩٦٨م)، دار المعارف، ط٣، (القاهرة_ ١٩٦٤م)، ج١، ص ٥٥.
(٩) دور الصحافة في توجيه الرأي العام العراقي، عبد الله محمود، مجلة الآداب، العدد ٢٥، (بغداد_ ٢٠١٢م)، ج١، ص ١٢.
(١٠) التغير الاجتماعي في العراق، إحسان محمد الحسن ، دار الكتب للطباعة والنشر، ط١، (الموصل_ ١٩٨٦م)، ج١، ص ٤٥.
(١١) الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية، طارق نافع الحمداني ، دار الشؤون الثقافية، ط١، (بغداد_ ١٩٩٠م)، ج١، ص ٥٥.
(١٢) الصراع الفكري في الأدب العراقي الحديث، عبد الإله أحمد ، دار الحرية للطباعة، ط٢، (بغداد_ ١٩٧٧م)، ج١، ص ١٢٠.
(١٣) جريدة الاستقلال، العدد ٤٥، الصادر في ١٥ شباط ١٩٢٢م، ص ٢.
(١٤) تاريخ تطور الصحافة في العراق، عبد الغني الدلي (ت ٢٠٠٨م)، مطبعة المعارف، ط١، (بغداد_ ١٩٦٨م)، ج١، ص ٨٩.
(١٥) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، علي الوردي، ج١، ص ٨٠.
(١٦) مجلة لغة العرب، الأب أنستاس ماري الكرملي (ت ١٩٤٧م)، مطبعة الآداب، (بغداد_ ١٩٢٨م)، الجزء الثالث، السنة الخامسة، ص ١٤٠.
(١٧) المقاهي البغدادية ودورها الثقافي والاجتماعي، جلال الحنفي (ت ٢٠٠٦م)، مطبعة الرشاد، ط١، (بغداد_ ١٩٩٠م)، ج١، ص ٣٤.
(١٨) تاريخ الوزارات العراقية، عبد الرزاق الحسني (ت ١٩٩٧م)، دار الشؤون الثقافية، ط٧، (بغداد_ ١٩٨٨م)، ج٣، ص ١٤٥.
(١٩) حرية الصحافة في العراق (١٩٢١-١٩٥٨)، فائق بطي (ت ٢٠١٦م)، دار المدى، ط١، (دمشق_ ٢٠١٠م)، ج١، ص ١١٢.
(٢٠) الصحافة والمجتمع في العراق، إبراهيم خليل أحمد، ج١، ص ٨٨.
(٢١) جريدة الأهالي، العدد ٥٦، الصادر في ٢ كانون الثاني ١٩٣٣م، ص ١.
(٢٢) تاريخ تطور الصحافة في العراق، عبد الغني الدلي، ج١، ص ٩٢.
(٢٣) البناء الاجتماعي للمجتمع العراقي، متعب مناف ، دار الشؤون الثقافية، ط١، (بغداد_ ١٩٨٩م)، ج١، ص ٤٥.
(٢٤) جماعة الأهالي في العراق (١٩٣٢-١٩٤٦)، عبد الأمير هادي العكام ، مطبعة الإرشاد، ط١، (بغداد_ ١٩٧٩م)، ج١، ص ٧٠.
(٢٥) جريدة الأهالي، العدد ١٤٢، الصادر في ١٥ أيار ١٩٣٤م، ص ٢.
(٢٦) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، علي الوردي، ج١، ص ١١٥.
(٢٧) جريدة العراق، العدد ٤٣٠، الصادر في ٢٠ تشرين الأول ١٩٢٦م، ص ٣.
(٢٨) الصحافة الساخرة في العراق، قيس النوري ، دار الشؤون الثقافية، ط١، (بغداد_ ١٩٨٨م)، ج١، ص ٥٢.
(٢٩) المرأة العراقية المعاصرة، خليل أحمد خليل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، (بيروت_ ١٩٨٣م)، ج١، ص ٦٠.
(٣٠) جريدة البلاد، العدد ٨٥، الصادر في ١٠ آذار ١٩٣٠م، ص ٢.

(٣١) قضايا المرأة في الصحافة العراقية (١٩٢١-١٩٥٨)، سهام الشجيري ، كلية الإعلام – جامعة بغداد، (بغداد_ ٢٠٠٥م)، ج١، ص ١٤٢.

(٣٢) مجلة الاعتصام، العدد ١٢، الصادر في ٥ نيسان ١٩٣١م، ص ٤.

(٣٣) الحياة الاجتماعية في العراق، سيار الجميل ، دار الأهلية، ط١، (عمان_ ٢٠٠٠م)، ج١، ص ٢١٠.

(٣٤) تاريخ العراق الثقافي، عبد الرضا علي ، دار الشروق، ط١، (عمان_ ٢٠٠٨م)، ج١، ص ١٣٤.

(٣٥) تاريخ التعليم في العراق في العهد الملكي، عبد الرزاق الدليمي ، مطبعة الإرشاد، ط١، (بغداد_ ١٩٨٥م)، ج١، ص ٤٥.

(٣٦) جريدة الزمان، العدد ١١٢، الصادر في ٥ تشرين الثاني ١٩٣٨م، ص ٢.

(٣٧) التطور التربوي في العراق، محمد جواد رضا ، سلسلة المعارف، ط٢، (بيروت_ ١٩٧٥م)، ج١، ص ٦٠.

(٣٨) جريدة صوت العراق، العدد ٢٠٤، الصادر في ١٤ شباط ١٩٤٠م، ص ٣.

(٣٩) الريف العراقي وتحديات التحديث، عبد الجليل الطاهر (ت ١٩٧١م)، دار النشر والتوزيع، ط١، (بغداد_ ١٩٥٨م)، ج١، ص ١١٢.

(٤٠) دور الصحافة العراقية في التوعية التربوية، علي خليل شبر ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة بغداد، (بغداد_ ١٩٩٨م)، ج١، ص ١٤٥.

(٤١) تاريخ المناهج الدراسية في العراق (١٩٢١-١٩٥٨)، محمد عبد الله الدليمي ، دار الشؤون الثقافية، ط١، (بغداد_ ١٩٩٢م)، ج١، ص ٧٥.

(٤٢) مجلة المعلم الجديد، وزارة المعارف العراقية، مطبعة الحكومة، (بغداد_ ١٩٣٨م)، العدد الثالث، السنة الأولى، ص ١٢.

(٤٣) التطور التربوي في العراق، محمد جواد رضا، ج١، ص ٨٥.

(٤٤) جريدة الأخبار، العدد ٤١٥، الصادر في ٢٢ أيار ١٩٤٤م، ص ١.

(٤٥) التعليم العالي في العراق وتطوره التاريخي، قحطان حميد الكعبي ، مطبعة جامعة بغداد، ط١، (بغداد_ ١٩٨٠م)، ج١، ص ٥٥.

(٤٦) أثر البعثات العلمية في التطور الاجتماعي والتعليمي في العراق، سعاد محمد خليل ، رسالة ماجستير، كلية التربية – الجامعة المستنصرية، (بغداد_ ٢٠٠١م)، ص ١١٠.